Université
Aboubekr Belkaïd
Tlemcen

جامعة
أبو بكر بلقايد

جامعة تلمسان

قسم العلوم الاجتماعية "شعبة الأنثروبولوجيا"

سنة الثانية انتربولوجيا

محاضرات مقياس

انتربولوجية اشكال التعبير الشعبي

الدكتورة بكوش المولودة قشيوش نصيرة

2020

المحاضرة السادسة

شعائر وطقوس المرور

عادات الحمل والإنجاب انموذجا

الزواج وأهمية الانجاب:

يمثل الإنجاب أهمية كبيرة في المجتمع الجزائري حيث يمكن القول أنّ مكانة المرأة وقيمتها هناك تتوقّف على نشاطها في إنجاب الأطفال. ويُعدّ الإنجاب شرطا رئيسيا لاستمرار الزّواج، 1

. والزّواج هو الوسيلة الشرْعية لإنجابِ الأطفالْ، وتكثير النّسلِ واستمْرار الحياة، مع المحافظة على الأنْساب وعلى العكس من هذا فإنّ ظاهرة العقم تكون في هذا المجتمع عاملاً من عوامل فشل استمرار العلاقة الزوجية.[1]بل إن المرأة العاقر تعاني داخل هذا الوسط احتقارا إلى درجة أنّها بعد طلاقها لا يمكنها الزّواج إلاّ بشيخ طاعنِ.

وهذا لا يتوقف فقط على نظرة المجتمع لها، بلْ يتوقّف أيضًا على نظرتها لذاتها. فالإنجاب يعني بالنسبة للمرأة اكتمال أنوثتها، وعدم دونيتها عن غيرها من النّساء وهو أيضًا في الوقت نفسه من أهمّ ما تحتاج إليه لتحصل على تقديرها لذاتها،

[1] – محمد عاطف، المشاكل الاجتماعية والسلوك ألانحرافي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1987، ص 162.

فإثبات الذات بالنسبة للأنثى كل حدّ قول Judith Band Wick يكون من خلال الدّور الأنثوي الأموي فقط، وليس من خلال العمل أو الحياة الاجتماعية.[1]

ورغبة المرأة في أن تكون حاملاً ينظر إليه على أنه وكما ذكر Klein ان رغبة المرأة في أن تكون حاملا ينظر إليه على انه الرغبة والمسرة الأولى والذي تستمدّ منه المرأة القوّة والتفاخر والتباهي pride والرّضا والسّرور في أنّها من فئة التناسل وهي تعتبر السّمة الفريدة للأنثى وأيضًا لصحة المرأة حيث يعتبر الحمل تعبيرًا عن إحساسها بالكمال وإيجاد ذاتيها. [2] ففي بعض القبائل مثل االدّنْكا Dinka (وهي من القبائل التي تسكن جنوب السّودان في شرق إفريقيا)، حيث أنّ االمرأة الولود لها قيمة اجتماعية كبيرة، وهذا يؤدّي إلى استقرارها.و وفي حالة عدم الإنجاب، فمن الشّائع أن يستدعي الزّوج أبناء عشيرته، ويطالب إليهم الصّلاة والدّعاء لروح Dingdit ويقومون بذبح شاة قربانًا من أجل ذلك. [3]

وتجري العادات أيضا في المجتمع الجزائري أن تزور المرأة العاقر بعض الأولياء والأضرحة حيث تقوم بالطّواف بالقبر سبع مرّات، ثمّ تأخذ خرقة من ستار قبر الوليّ وتتحزّم بها وبعدها تقدّم زيارة "للمقدّم" (الطالب الذي يحرص الضريح) . ويقوم بالدّعاء لها وفي الأخير يذبح زوجها دجاجة أو ديك قربانًا للوليّ. وإذا أكرمها اللّه وأنجبت فيسمّى المولود على اسم الوليّ الذي زارته.

---

[1] – هنّومة محمد، ثقافة الحمل، دار المعرفة الجامعية، 2009، ص 111.

[2] – المرجع السابق، ص 111.

[3] – هنّومة محمد، المرجع السابق، ص 111.

(نقلاً عن فاروق مصطفى اسماعيل، الأنثروبولوجيا الثقافة، الجزء الأوّل، الهيئة المصرية العامة للكتاب 198، ص 21)

الحمل والتغيّر الفيزيولوجي:

إنّ الحمل طقس مرور طبيعي من طور حياة إلى طور آخر، إنه فترة ممتدّة تكون فيها الإنسانة "بين بين" بين حالة وأخرى، وهي حالة أسماها فيكتور تيرنر الوقت "الانتقالي" أو الوقت الذي يقف فيه المرء على أعقاب مرحلة جديدة من حياته، حين توجد إمكانية لحدوث نموّ أو تغيّر هائلين. إنّ إبراز الخاصية الانتقالية للحمل إبراز لما تمرُّ به حدود الجسد من تغيّرات مستمرّة، ولوجود شخص آخر داخل الجسد سرعان ما سيخرج منه، إن الولادة مرور عبر الحدود بالمعنى الحرفي للكلمة. كما أن الحمل يمكن أن يضع المرأة في اتّصال عميق مع جسدها بطرق جديدة، وهي تراقب نمزّ الجنين، وتتعجّب من قدرتها على خلق الحياة [1] وكما تراقب نفسها ووهي تتغيّر فيزيولوجيا وعلامات التغيّر تبدو عليها في كافة أنحاء جسمها وليس فقط في بطنها. وهناك قوانين يجب أن تتبعها فيما يتعلق بحدود الحركة النشاط المسموح به لها مثل تجنّب حمل الأشياء الثقيلة أو الصعود على السلّم، بينما المشي فهو مسموح به لأنّه ييسّر لها عملية الولادة.

ومن الطقوس المرعية في هذا المجتمع وفي كل المجتمعات الأخرى أن تأكل الحامل جيّدًا وأن يكون غذائها كاملا وغنيًّا ومتنوعًا، ويحرصون كثيرا على تناول الألبان ومشتقاتها لتزويد الصبيّ بالكالسيوم، إضافة إلى اللّحوم والخضر والفواكه.

المرحلة الانفصالية والمعتقدات المرتبطة بالحمل:

[1] – كارول مركونيهان، ترجمة سهام عبدد السلام، أنثروبولوجيا الطعام والجسد، النوع والمعنى والقوة، الطبعة الأولى، 2013، ص 324، االقاهرة، الهيئة المصرية العامة، المركز القومي للترجمة، ص 324.

ان الحامل مجبولة على أكل كل ما تشتهيه، وتُسمّى هذه الفترة بمرحلة الوَحْم. وإذا لم تأكل ما اشتهته –سواء أكان لحما أم خضرا أم فواكه. فإنّ الولد سوف يولد بوحمة أي بعاهةِ.

والوحم هو في الواقع عادة مصرية قديمة فمع ما قدره المصريون القدامى من فضل ربهم الذي يصون الجنين في بطن أمّه ويحفظ تنفسه، وينزل السكينة عليه، فلا يئن ولا يبكي، فظنّوا في الوقت ذاته إلى أنّ غذاء الأم الحامل هو السبب المباشر لنموّ الجنين وتغذيته. وسمع المؤرخ ديودور الصقلي.[1] هذا الرأي منهم وكتب يقول إن المصريين وإن اعتقدوا أنّ الأب هو المسؤول فعلاً عن الإنجاب، إلاّ أنهم يعتقدون في الوقت ذاته أنّ الأمّ هي الوسيلة الوحيدة إلى تزويد جنينها بالغذاء والجنة (الحفظ والحماية). ولا يُستبعد أن يكون اهتمام السيدات الآن بوحم الأم–وتلبية ما تشتهيه في فترة حملها خشية أن يتأثر تكوين المولود بحرمانها منه – أثرًا ممن آثار التفكير القديم.[2]

وقد يأخذ الحمل شكل السرية التامّة والتحفظ الشديد –خاصّة في الشهور الأولى. – ليكتمل نموّ الجنين وهذا خوفًا من العين والحسد، وقد تعيش الحامل نوعًا من العزلة والانفصال في المرحلة الأولى حيث يقدّم لها الأكل متنوعا في آنية لوحدها لأنها يجب أن تتغذّى جيدًا. وفي النّوم أيضًا تنام منعزلة، خاصة إذا كان حملها مُهدّدًا بالإجهاض وذلك للنّفور من الاتّصال الجنسي.

[1] – مرفت العشماوي، عثمان العشماوي، دورة الحياة، دراسة للعادات والتقاليد، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2011، ص 69.

[2] – عبد العزيز صالح، الأسرة المصرية في عصورها القديمة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص 74

المرحلة الانفصالية:

وقد اهتمّ العديد من العلماء بموضوع العزلة والانفصال في الحمل والميلاد فأشار فريزر Frayzer وكراولي Crawly إلى عادات الانفصال أثناء فترة الحمل بالنسبة للمرأة في أكواخ خاصة، وفي منطقة محدودة من المنزل وقواعد المحرّمات الخاصّة بالتغذية والعلاقات الجنسية. كما تحدّث أيضًا فإن جنب Van gennep عن طقوس وشعائر الانفصال عند المرأة الحامل. ويرى أن الشعائر الأولى المرتبطة بها تهدف غلى العمل على انفصال الحامل عن المجتمع، وعن جماعتها النوعية[1] ويذهب فان جنب إلى أن الحامل في بداية الحمل يجب أن توضع في حالة عزلة لأنّها تعتبر غير طاهرة ونجسة، أو لأنّ الحمل يضعها من الناحية الفيزيولوجية والاجتماعية في وضع غير طبيعي[2] وهذا عكس ما نراهُ نحن، فالمرأة الحامل عندنا تعتبر طاهرة والدّليل على ذلك االنقطاع دم الحيض في هذه الفترة، كما نعتقد أن الحامل يحيط بها الملائكة في هذه الفترة. وانفصالها في الثقافة التلمسانية ليس بسبب نجاستها كما ترى الثقافات الأخرى وإنما تفاديًا لبعض المشاكل، ودعوة لأسباب أخرى سبق ذكرها.

– المرحلة الإعدادية والتمهيدية للحامل:

تشكل طقوس الحمل وما يصاحبها من عادات وتقاليد كلاّ متكاملا ومستقلاً طبقًا لنظرية فان جنب، فبعد مرحلة الانفصال، تليها مرحلة أخرى هامّة

[1] – مرفت العشماوي، المرجع السابق، ص 66.

[2] – المرجع نفسه، ص66.

ألا وهي المرحلة التمهيدية والإعدادية. وتبدو مظاهر هذه المرحلة في التعليمات والتوجيهات التي تتلقّاها الحامل من حماتها وأمّها وخالتها أي من السيدات الكبيرات السن أو ذوات الخبرة في هذا المجال. كما تستعد الحامل في هذه المرحلة لتجهيز ملابس المولود الجديد وعادة ما تصنعها بنفسها وكما يقع أيضًا هذا التجهيز على عاتق أمّ الحامل ويكون هذا حسب المستوى الاقتصادي للأسرة. ويتمّ اختيار اللّون الأزرق للذكر، واللّون الوردي للبنت، أمّا الأبيض فيشمل الذكر والأنثى في نفس الوقت، وفي المرحلة التمهيدية أو الإعدادية أو الهامشية تتحمّل الحامل أكثر من المعاناة تمهيدًا للتّحول إلى المكانة الجديدة (مرحلة الاندماج) بدءًا بالوحم والتقيّئ والتغيّر الفزيولوجي وأوجاع البطن والظّهر والثقل، وتعكّر المزاج والقلق إلى غاية الدّخول في المرحلة التي تليها، وازدياد المولود.

الولادة ومرحلة الاندماج:

وتأتي شعائر فترة الميلاد وهي التي تهدف إلى إعادة اندماج وتكامل المرأة مع جماعتها التي كانت تنتمي إليها من قبل، أو حصولها على وضع ومكانة جديدة في المجتمع خاصة في حالة إنجاب الطفل الأوّل ومن ثمّ تظهر **مرحلة الاندماج**. [1]

والميلاد هو طرد الجنين من رحم الأمّ بعد اكتمال فترة الحمل وتقوم بهذه العملية" الداية" وهي امرأة مسنة تقوم بتوليد النساء الحاملات في البيت.ولكن هذا كان

[1] – مرفت العشماوي، المرجع السابق، ص 66.

سائدًا في القديم. بينما اليوم أصبحت العملية تجري في المستشفى عن طريق ذوي الاختصاص كالممرضات والأطباء.

وتحرص الحماة على أن تتم هذه العملية في سريّة باستثناء أمّ الحامل التي يجب أن تكون برفقتها لأنّ عملية الولادة صعبة وعسيرة لدرجة أنها قد تؤدي إلى الموت في بعض الأحيان. وبعد إتمام هذه العملية، يُقدّم للأمّ قهوة ساخنةً مع بعض الحساء السّاخن وذلك ليجري الحليب في ثديها ليتغذّى منه الرّضيع. وهذا الحليب يُسمّى في تلمسان باللّْبَا" وهو غنيّ بالفيتامينات ويساعد الرّضيع على النمو. وكم تكون الفرحة كبيرة عند ازدياد المولود ذكرًا لأنه يشكل بالنسبة لأمّه استثمارًا سيكولوجيا كبيرًا على اعتبار أنّه يُدعّم مكانتها داخل الأسرة ويحقق لها اعتبارًا اجتماعيًا يجعل منها تلك الأمّ الولود التي تساهم في استمرارية المجتمع، واستمرارية النّسب، فإنها الإضافة إلى هذا فالأم تحقّق ذاتها عبر الطفل الذكر بحيث تضمن لنفسها حليفًا يدعّمها ويؤازرها." [1]

وقد يرجع التدرّج في الرّتب بين الذكر والأنثى إلى أن الابن يحلّ محل الوالد بعد الشيخوخة أو أثناء المرض، أو للمحافظة على الاسم والإرث، فالملكية تنتقل من الحدّ إلى الأب إلى الابن فالذكر أحق بها من الأنثى. وليس معنى هذا أن ازدياد البنت غير محمود ومنبوذ لان هناك أمثالا شعبية تشخّص هذه الظاهرة منها:

"اللّي خلاّ لبْناتْ ما مَاتْ"

[1] – عمراووي فاطمة، وضع الطفل المغربي وأسلوب معاملته داخل الأسرة من خلال الأمثال الشعبية، ص 72.

اللّي ما عند لبناتْ ماعرَفْوه فاين ماتْ

فمن قراءة هذين المثلين يتبيّن لنا أنّ هذا النّوع من الأسر يُفضّل الأنثى على الذّكر، لأنّها على ما نظن أكثر حنانًا، فالبنت تحتفظ بذكرى أبيها مدّة طويلة جدًّا، ولو بدموعها التي تدرفها من أجله. فطبيعة الفتاة تجعلها تُعبّر عن مشاعرها بصورة لا يستطيع الذكر استعمالها للتعبير عن مشاعره، ولهذا نجدها تشكّل ملجأ دافئًا للأبوين عند كبر سنّها أو مرضِ أحدهما.